

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة: 17]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما ذكر في الآيات السابقة جزاء المستكبرين وما أعد لهم من العقاب، تطلعت النفس إلى معرفة جزاء المتواضعين؛ فجاءت هذه الآية جواباً على تطلّعهم بما أعدّه الله لهم من ثوابٍ بقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

تتطلع نفس
العابد إلى ما
أعد له من
المتوبة

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أُخْفِيَ﴾: (خفي) أصلان متباينان مُتضادّان؛ فالأول السّتر، والثاني الإظهار⁽¹⁾. (خفي الشيء خُفْيَةً): استتر، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55]، و(الخفاء): ما يُستَرُّ به كالغطاء، و(خُفْيَتَهُ): أزلت خفاءه، وذلك إذا أظهرته، و(أخْفَيْتَهُ): أوليته خفاءً، وذلك إذا سترته، ويُقابِلُ به الإبداء والإعلان، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 271]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ [المتحنة: 1]⁽²⁾.

(2) ﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: (قرر) أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على برد، والآخر على تمكّن، فالأول: القُرُّ، وهو البرد، والأصل الآخر: التَّمَكُّنُ، يُقال: (قَرَّ واستَقَرَّ)، وفي الدعاء: (أقرَّ الله عينه)؛ أي: أعطاه حتّى تقرَّ عينه فلا تطمح إلى من هو فوقه⁽³⁾، والمعنى المحوري: ثَبَاتُ ما شأنه التَّسَيُّبُ وامتِسَاكُهُ في قاعٍ عميقٍ مُستدير⁽⁴⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرر).

(2) الراغب، المفردات: (خفي).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرر).

(4) جبل، للعجم الاشتقاق: (قرر).

✽ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

الجزاء عند الله
تعالى من جنس
العمل

بَيَّنَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْجَزَاءَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ جِنْسِ أَعْمَالِهِمْ، فَفِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِسَبَبِ عَمَلِهِمُ الطَّيِّبِ وَإِخْبَاتِهِمْ لِلَّهِ ﷻ.

✽ الْإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سَرُّ التَّعْبِيرِ بِالفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ﴾:

عظمة العطاء
مع ستر العلم
عنه

أَثَرُ النَّظْمِ الْحَكِيمِ التَّعْبِيرِ بِالفَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ﴾؛ لِأَنَّهَا سَبَبِيَّةٌ، أَوْ فَصِيحَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَكْرِمُوا إِكْرَامًا فَوْقَ مَأْمُولِهِمْ، وَأَعْطُوا فَوْقَ رَجَائِهِمْ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ قَدْرَ هَذَا الْعَطَاءِ وَهَذَا الْإِكْرَامِ⁽¹⁾، فَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ لِلتَّرْكِيزِ عَلَى مَا أَعَدَّ لَهُوْلَاءُ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ﴾ رَابِطَةً لِلْآخِرِ بِالسَّابِقِ، وَأَصْلُ النَّظْمِ: (فَلَا يَعْلَمُونَ) وَالْعَدُولُ لَتَعْظِيمِ الْجَزَاءِ⁽²⁾.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالمُضَارِعِ الْمُنْفِيِّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ﴾:

التَّعْبِيرُ بِالمُضَارِعِ الْمُنْفِيِّ ﴿فَلَا تَعْلَمُ﴾ دَالٌّ عَلَى عَدَمِ الْعِلْمِ الْمُتَوَاصِلِ الْمُسْتَمَرِّ لِلْجَزَاءِ الْمُعَدِّ لَهُمْ، مَهْمَا أُوتُوا مِنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ؛ لِعِظَمِ جَزَائِهِمْ وَخَفَائِهِ وَعُلُوِّ شَأْنِهِ.

نَكْتَةُ تَنْكِيرِ ﴿نَفْسٍ﴾:

دلالة العموم
لكل نفسٍ

أَفَادَ التَّنْكِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أَخْفَى لَهُمْ﴾ الشُّمُولَ وَالْعُمُومَ لِكُلِّ نَفْسٍ قَرِيبَةٍ أَوْ بَعِيدَةٍ، مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا؛ لِأَنَّهَا نَكْرَةٌ، وَجَاءَتْ فِي سِيَاقِ نَفْيٍ؛ فَدَلَّتْ عَلَى عُمُومِ كُلِّ نَفْسٍ⁽³⁾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا تَبْلُغُ نَفْسٌ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعْرِفَةَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِ﴿نَفْسٍ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَصْحَابُ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَلَعَلَّ

(1) الشَّهَابُ، حَاشِيَةُ الشَّهَابِ: 152/7.

(2) الْأَلُوسِي، رُوحُ الْبَعَاثِ: 130/11.

(3) الشَّهَابُ، حَاشِيَةُ الشَّهَابِ: 152/7.

لفظة ﴿نَفْسُ﴾ تذهبُ إلى نفوسِ المُكْرَمِينَ؛ فهم أنفُسُهُم لا يعلمون ما أُخْفِيَ لهم.

دلالة التعبير بـ ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا أُخْفِيَ﴾:

آثر النظم الحكيم التعبير بـ ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا أُخْفِيَ﴾؛ لأنها تحتل الموصوليَّة والاستفهاميَّة⁽¹⁾، فالموصوليَّة بمعنى (الذي)؛ أي: لا تعلم نفسُ الذي أُعِدَّ لهم، وأمَّا الاستفهاميَّة؛ فـ ﴿مَا﴾ مُبتدأ، وجملة ﴿أُخْفِيَ﴾ خبره، وجملة ﴿مَا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾ تسدُّ مسدَّ مفعولي ﴿تَعْلَمُ﴾، وعلى كلِّ من الموصوليَّة والاستفهاميَّة فالإبهامُ للتَّعْظِيم؛ لأنه بمعنى: (أي شيء).

نكتة توظيف الفعل ﴿أُخْفِيَ﴾:

لما أخفى هؤلاء المتذكِّرون أعمالهم بالصَّلَاةِ في جوف اللَّيْلِ والإنفاقِ سرًّا وغير ذلك من أعمال الطَّاعات، ولا يُراوون بها أخفى الله جزاءهم⁽²⁾؛ لعظمته وعدم تخيُّله، فالجزاء من جنس العمل، محجوبٌ في التعبير والتَّصوير، لكي يتناسق مع جوِّ عبادتهم في اللَّيْلِ، حيث لا يطلع عليهم أحدٌ إلَّا الله، وكأنَّ هذه الصَّلَاة المستورة في جُح الظلام يُناسبها جزاءٌ خاصٌّ مستورٌ أيضًا⁽³⁾.

بلاغة توجيه القراءات القرآنيَّة في ﴿أُخْفِيَ﴾:

قرأ حمزة ﴿مَا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾ ساكنة الياء، وجعله فعلًا مُستقبلاً؛ أي: أُخْفِيَ أنا، فالفاعل هو الله جلَّ وعزَّ، فهو يُخبر عن نفسه؛ أي: ما أُخْفِيَ أنا لهم، وحجَّتُه ما يتَّصل بالحرف، وهو قوله قبله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

وأما قراءة الباقيين: ﴿مَا أُخْفِيَ﴾ بفتح الياء جعلوه فعلًا ماضيًا

عظمة الخفي

الجزاء من
جنس العمل

إخفاء العطاء
هو قِمة العطاء

(1) الشهاب، حاشية الشهاب: 152 / 7.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 257 / 15.

(3) عبد السلام الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص: 307.

على ما لم يُسمَّ فاعله، ويُقَوَّى بناءً الفعل للمفعول به قوله: ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾، فأبهم ذلك كما أبهم قوله: ﴿أُخْفِيَ لَهُمْ﴾، ولم يُسند إلى فاعلٍ بعينه⁽¹⁾، فأخفاء الفاعلين دالٌّ على تعدُّدهم وكثرتهم.

سرُّ بناء الفعل: ﴿أُخْفِيَ﴾ لما لم يُسمَّ فاعله:

تعظيم ما أُعدَّ
لهم من جزاءٍ

بُني الفعل ﴿أُخْفِيَ﴾ للمفعول في قراءة الجماعة تعظيماً لما أُخفي، فيذهبُ الفكر في المَخْفِيِّ كلَّ مذهبٍ⁽²⁾، وهو تعبير عظيم يشي بحفاوة الله سبحانه بالقوم وتوليئه بذاته العليَّة إعداداً ما أدَّخره لهم عنده من الحفاوة والكرامة ممَّا تقرُّ به العيون، وهذا المدَّخر الذي لا يطلع عليه أحدٌ سواه، فهو يظلُّ عنده خاصَّةً مستوراً حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه.

سرُّ التعبير باللام في قوله: ﴿لَهُمْ﴾:

اختصاص
للمؤمنين
واستحقاقهم
لهذا التَّكريم

التَّعبير باللام في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ﴾ فيه إشارة إلى أنَّ كلَّ العطايا لهم دون غيرهم؛ لأنَّ اللام لها معانٍ مُتعدِّدة؛ الملك والبيان والاستحقاق والإضافة والتَّخصيص⁽³⁾، فكأنَّها ملكهم وهم المُستحقُّون لها، المُهمِّمون عليها، جزاءً من ربِّك عطاءً حساباً، وفي هذا من التَّكريم والاحتفاء ما فيه؛ تقديرًا لثباتهم على إيمانهم، وصبرهم على مشاقِّ الأعمال وسهرهم، وكأنَّ هؤلاء استحقُّوا أن يمتلكوا ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نتيجة أعمالهم الشَّريفة.

دلالة إضافة القرَّة إلى ﴿أَعْيُنٍ﴾:

الذَّخْورُ في غاية
الحُسْنِ

في إضافة القرَّة إلى الأَعْيُنِ على الإطلاق لا إلى أَعْيُنِهِمْ تنبيهٌ على أنَّ ما أُخفي لهم في غاية الحُسْنِ والكمال⁽⁴⁾، ويؤكد ذلك أنَّ

(1) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 569، وابن الجزري، النشر: 2/ 374.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 257.

(3) سيبويه، الكتاب: 4/ 217.

(4) الألويسي، روح اللعاني: 11/ 129.

فُرَّةُ العين تُطَلَّقُ على ثلاثة أقوالٍ: أحدها: على دمعِها، وهي التي تكونُ مع الضَّحْك والسُّرور، ودمعةُ الحزن حارَّةً، والثاني: على نومِها لأنَّه يكونُ مع ذهابِ الحُزن والوجع، والثالث: على حضورِ الرِّضا⁽¹⁾. وهذه المعاني تدلُّ على غاية السُّرور والحُبور عند أهل الإيمان بما أعدَّه الله لهم.

سرُّ التعبير بـ ﴿أَعْيُنٍ﴾ مُنْكَرَةً دُونَ (عيون):

آثر القرآن الكريم التعبير بـ ﴿أَعْيُنٍ﴾ جمع قَلَّةٍ دُونَ (عيون) جمع كثرةٍ؛ لأنَّ هؤلاء قليلٌ مُقارَنَةً بغيرهم، وقد يُقال: إِنَّ لفظَةَ ﴿أَعْيُنٍ﴾ على مدار القرآن كُلِّه إذا جاءت على وزن (أفْعُل) جمعًا للقَلَّةِ فَإِنَّهَا الأَعْيُنُ الباصرة، أمَّا جمع الكثرة (عيون) فَإِنَّهَا لأَعْيُنِ الماء، لم يشدَّ جمعٌ واحدٌ عن هذه العادة القرآنيَّةِ في التَّفريق بين أَعْيُنِ الخلق وعيون الماء، وخصَّ كُلُّ منهما بصيغة جمع.

أما التَّنْكِيرُ في لفظ ﴿أَعْيُنٍ﴾؛ فلا جُلَّ تنكير القُرَّة؛ لأنَّ المُضاف لا سبيلَ إلى تنكيره إلَّا بتنكير المُضاف إليه، ويجوز أن يُقالَ في تنكير ﴿أَعْيُنٍ﴾: إِنَّهَا أَعْيُنٌ خاصَّةٌ، وهي أَعْيُنُ الْمُتَّقِينَ⁽²⁾.

مناسبة ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ لـ ﴿فُرَّةُ أَعْيُنٍ﴾:

العلاقة بين الطرفين علاقةُ عطاءٍ وجزاء؛ ذلك أنَّ العين لما كانت لا تَقَرُّ إلَّا عند الأمن والسُّرور قال: ﴿مِنْ فُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾؛ أي: من شيءٍ نفيسٍ سارٍّ تَقَرُّ به أَعْيُنُهُمْ لأجل ما أقلعوها عن قرارها بالنَّوم⁽³⁾؛ فسهرُ العين نتيجةُ إعطائها القُرَّة السَّعيدة.

دلالة الموقع النَّحْوِيِّ لقوله: ﴿جَزَاءً﴾:

تحتلُّ اللفظة إعرابين؛ فهي مفعولٌ مطلق أو مفعولٌ لأجله،

عادة القرآن
التفريق في
التعبير بين أَعْيُنِ
الخليق وعيون
الماء

العطاء نتيجة
العمل

عظمة الجزاء
وعلو شأنه

(1) الفخر الزاوي، مفاتيح الغيب: 487/24.

(2) الرمخشري، الكشف عند تفسيره في الفرقان: 76/3: 296.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 257/15.

والمعنى هنا: (جُزُواْ جزاء) هذا على المفعول المطلق، أو أخفِي للجزاء، وهذا للمفعول له، وإخفاؤه لعلو شأنه⁽¹⁾.

سرُّ التعبير ﴿بِمَا﴾ في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا﴾:

العمل سبب في
ارتقاء الدرجات
يوم القيامة

الباءُ في قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ للسببية، وهي دالة على أنَّ الأعمال سببٌ رئيسٌ في رفع الدرجات، وليس في أصل دخول الجنة، و(ما) اسم موصول، أو مصدرية، عبَّر بها لأنها دالة على شمول أعمالهم لكل خير، فهي عامَّة وليست مُحدَّدة، وهذا واشٍ بكثرة الأعمال الصالحة التي مكَّنتهم من الوصول إلى أعظم الدرجات.

دلالة التعبير بالفعل: ﴿كَانُوا﴾:

استمرار أثر
العمل ماضيًا
وحاضرًا

الإتيان بـ ﴿كَانُوا﴾ للدلالة على الاستمرار⁽²⁾، فهي ماضٍ مع دلالتِهِ على الدوام، فضُمَّتْ زمنين، الماضي والحاضر، فهي تُشير إلى اقتران مضمون الجملة بالزَّمان الماضي من غير تعرُّضٍ للانقطاع؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٩٦﴾ [النساء: 96]، ولذلك يُعبَّر عنها بأنها تُرادف: (لم يزل)⁽³⁾؛ لبيان أنَّ الماضي حاضرٌ معهم، فعملهم الصَّالح هو المؤيِّد والناصر، ولا يُفيدُ حذفُ ﴿كَانُوا﴾ الدَّلالة على الزَّمنين.

نكتة التعبير بالعمل دون الفعل:

في العمل
قصديَّة ومُثابرة
وامتدادُ زمانٍ
ليست في الفعلِ

سرُّ ذلك أنَّ العملَ أَحْصَى من الفعل، فكلُّ عملٍ فعلٌ، ولا ينعكسُ⁽⁴⁾، وهذا يحمل قصديَّة الفعل والتَّوجُّهَ إليه، فالعمل الصَّالح صار طبيعيَّةً وديناً؛ لأنَّ فيه امتدادَ زمانٍ⁽⁵⁾ غير الفعل، ومن ثَمَّ عبَّر

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 580 / 7.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 239 / 7.

(3) محبي الدين الدروي، إعراب القرآن وبيانه: 100 / 6.

(4) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 109 - 110.

(5) السيوطي، معترك الأقران: 387 / 3.

فقال: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، "حيثُ كان المقصود المثابرة على العمل لا الإتيان به مرَّةً أو بسرعة⁽¹⁾، والمضارع دالٌّ على هذا الامتداد والمثابرة.

نكتة حذف مفعول: ﴿يَعْمَلُونَ﴾:

في حذف مفعول ﴿يَعْمَلُونَ﴾ نكتتان: الأولى: شُمُولُ العمل واتِّساعُه، فليس ثمَّ نصٌّ على عملٍ بعينه، وإنَّما دَيَدْنُهُمُ الْعَمَلُ الصَّالِحَ الَّذِي يُعْرِفُونَ به، والثَّانِيَّةُ: لَفْظِيَّةٌ، وَهِيَ مُنَاسِبَةُ رُؤُوسِ الْآيَاتِ الَّتِي تَنْتَهِي بِحَرْفِ النُّونِ وَقَبْلَهَا الْحَرْفُ السَّاكِنُ ﴿يُنْفِقُونَ﴾، و﴿يَسْتَوُونَ﴾، وَهَذَا مِنْ الْإِعْجَازِ الصَّوْتِيِّ فِي الْقُرْآنِ.

عمومُ العمل
مع مُناسبة
رؤوسِ الآيِ

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

(خَرَّ) وَ(سَقَطَ):

الْخُرُورُ: سَقُوطٌ شَدِيدٌ قَوِيٌّ، وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ (خَرَّ) هُوَ سَقُوطٌ بَحْتٌ، أَوْ سَقُوطٌ لِحَالٍ؛ كَالسُّقُوطِ صَعْقًا، أَوْ لِلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ⁽²⁾، أَمَّا السُّقُوطُ: فَهُوَ طَرَحٌ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ إِلَى مَكَانٍ مُنْخَفَضٍ⁽³⁾، وَلَيْسَ شَرْطًا أَنْ يَكُونَ شَدِيدًا.

(1) السيوطي، معترك الأقران: 3/ 387.

(2) الراغب، المفردات، ابن منظور لسان العرب: (خرر).

(3) الراغب، المفردات: (سقط).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2025.

مج. 44، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-97-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 44: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-97-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»